

Significance Movement and Deviation of the Presence in the Poetry of Maad Al-Jabouri*

Ali Bagher Btaheriniya

Professor of Arabic Language and Literature University of Tehran Abolhassan

Amin Moghaddasi

Associate professor of Arabic language and literature, University of Tehran

Hossein Elyasi

PhD in Arabic Language and Literature, University of Tehran

Abstract

The dynamics of significance is the most important characteristic of contemporary Arabic poetry as the poetic symbol does not have the usual signifying that the consciousness of the recipient is evoked, but it carries the different signals fragmented according to the contexts in which it is located. This movement in significance is more presented and crystallized in post-1960s poets' poetry, which is a basic feature of contemporary Arabic poetry and Iraqi poetry. It is especially linked to poetic creativity. Furthermore, deviation is associated with the presence of heritage in its various forms in contemporary poetic text. The perversion in attendance is the removal of the main connotations of the heritage party or the implantation of the traditional features of the expression of the contemporary position and This confusion is a paradox in the poetic text. Moreover, the fragmentation of the significance and the deviation of the presence of the most important characteristics of the poetry of Al-Jabouri. This research was an attempt to study the dynamics of the symbol and the deviation in attendance in the poetry of Al-Jabouri and an investigation to capture its objectives based on the descriptive-analytical approach which was based on the Simeotik for analysis of the poetry and the selection of the symbol of fire and light among the symbols of poetic poet and the look at the heritage symbols and heritage signs, for what is revealed by the sign. The results of this study revealed that the fire fluctuated between a range of indications, including emission, fertility, growth, rejection, intellectual progress, freedom and knowledge. The wind came as a symbol of the external regimes once and a symbol of the revolutionary power once again, as the poet sowed the features of the heritage party to increase the effectiveness of his presence in dialogue with Present text.

Keywords: contemporary Iraqi poetry, Maad al-Jubouri, significance, fragmentation, deviation

* -Received on: 01/03/2019

Accepted on: 04/07/2019

-Email: btaheriniya@ut.ac.ir

- DOI:10.30479/lm.2019.9191.2615

-© Imam Khomeini International University. All rights reserved.

حركية الدلالة وانحراف الحضور في شعر معد الجبوري

علي باقر طاهري نيا، أستاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران
أبوالحسن أمين مقدسي، أستاذ فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران
حسين الباسي، دكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران.

الملخص

حركية الدلالة هي من أهم خصائص الشعر العربي المعاصر فالرمز الشعري لا يحمل الدلالة الواحدة المألوفة التي يستأنسها وعي المتلقي بل يحمل دلالات مختلفة متشظية حسب السياقات التي يقع فيها ولا يقع في توقعية الدلالة وهذا هو المراد بحركية الرمز وتشظي الدلالة وهذه الحركية أكثر حضوراً وبلورة في شعر شعراء ما بعد الستينات وهي تشكل سمة أساسية من سمات الشعر المعاصر العربي والشعر العراقي خصوصاً ومرتبطة بالإبداع الشعري وتنم عن سلطة الشاعر على اللغة وتعتبر عن حذقته في خلق السياق والانحراف يرتبط بحضور التراث بأنماطه المختلفة في النص الشعري المعاصر والانحراف في الحضور هو نزع الدلالات الرئيسة عن الطرف التراثي أو زرع الخلخلة في الملامح التراثية للتعبير عن الموقف المعاصر وهذه الخلخلة في الملامح التراثية تشكل مفارقة في النص الشعري مما يعمل على إثراء النص الشعري من ناحية الإيحاء والدلالة. إن تشظي الدلالة والانحراف في الحضور من أهم خصائص شعر معد الجبوري. ترحل هذه الدراسة في عالم معد الجبوري الشعري لدراسة حركية الرمز وانحراف الحضور في شعر الشاعر والبحث للقبض على أهدافه المتوخاة اعتمد على المنهج الوصفي - التحليلي وتقياً ظلال السيميائية في تحليل الأشعار وانتقى رمز النار والريح من بين رموز الشاعر الشعرية وألقى النظر في الرموز التراثية والإشارات التراثية التي خرجت عن دالاتها المألوفة لبيان ما يشع عنها من الدلالات وما تمخضت عن هذا البحث هو أن النار تارجحت ما بين مجموعة من الدلالات منها الانبعاث والخصب والنماء والرفض والتقدم الفكري والحرية والمعرفة وجاءت الريح رمزاً للأنظمة الخارجية مرة ورمزاً للقوى الثورية مرة أخرى كما زرع الشاعر خلخلة في ملامح الطرف التراثي ليزيد من فاعلية حضوره وثرائه الدلالي في حوارية تواصله مع النص الحاضر.

كلمات مفتاحية: الشعر العراقي المعاصر، معد الجبوري، الدلالة، التشظي، الانحراف.

*-تاريخ الوصول: ١٣٩٧/١٢/١٠ تاريخ القبول: ١٣٩٨/٠٤/١٣

عنوان البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول: btaheriniya@ut.ac.ir

- شناسه دیجیتال (DOI): 10.30479/lm.2019.9191.2615

١. المقدمة

إنَّ الرمز من أهم مرتكزات الشاعر في التعبير عن مكنوناته وهو يعدُّ من الوسائل الفنيَّة التي تسهم في شعرنة النص الشعري وإثرائه من ناحية الدلالة. ظهرت الرمزيَّة بعد أفول شمس الواقعيَّة التي صدت على الأذهان والقلوب بما طرأت عليها من الثقل وركامات التخاذل والتوقع الإنساني بسبب الانكسار والخيبة الكبرى التي اجتاحت المجتمعات الإنسانيَّة والتي جعلت المثاليَّة التي كان الإنسان المعاصر يتوقع قرب وقوعها في الحضارة الجديدة بعيدةً كلَّ البعد أن تحقيقتها وجعلت إنسان الحضارة الجديدة متبرماً من واقعه ومن حضارته ومن الإنسان عموماً وذلك للمفارقة التي كان يراها الشاعر المعاصر بين ما جرى في واقعه المعيش وحضارته وبين ما كان يصبو إليه من الجمال والجلال للإنسان.

ظهرت بوادر الرمزيَّة عند الغربيين في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان ظهورها احتجاجاً على الفلسفة الوضعية والماديَّة وصد الواقعيَّة العلميَّة وردة فعل ضدَّ البرناسيين (الجيوسوي، ٢٠٠٧م: ٥٠١-٥٠٣) وشاع التعبير الرمزي في الشعر العربي المعاصر بالتأثر من الشعر الفرنسي وخاصة شعر مالارمي وبودلير وفاليري وأول من وظَّف التعبير الرمزي في الشعر العربي المعاصر هو بشر فارس والحقيقة أنَّ «الرمزيَّة العربيَّة جاءت في بداياتها على شكل إرهابات أوليَّة تحتاج إلى التكمال والبراعة في التمكن من معرفة أصول هذا الاتجاه الفني» (أبوشباب، ١٩٩٨م: ٢٤٦) وكان حضورها في الشعر على شكل اللغة المنزاحة للتصل من الخطابيَّة في التعبير وهي لم تصل مرحلة النضج إلا بعد ظهور جيل الرواد والتكمال الحقيقي للرمزيَّة العربيَّة حدثت في شعر شعراء الستينيات وهذه الرمزيَّة في شعر شعراء هذا الجيل، تحمل سماتها الخاصة المتميِّزة منها التصل من تقويَّة الدلالة التي كانت تنحدر من براعة الشعراء في خلق السياق والحركيَّة في الدلالة التي اتسم بها الشعر المعاصر تمثَّل شكلاً من أشكال الحدائث في المستوى الدلالي للنظام الرمزي في التشكيل الشعري المعاصر وهذه الخصويَّة تعبَّر من جهة عن حذقة الشاعر العربي المعاصر في صياغة التشكيل الشعري ومن جهة أخرى تقودنا إلى سطوة الشاعر على اللغة الشعريَّة وعلى نظام السياق معاً أو كفاءة الشاعر في خلق العلاقة المنطقيَّة بين الرمز وبين السياق مما يجعل من السياق المرتكز الأساس للإحالة إلى المقصود ولا يخفى على الشاعر ما لحركيَّة الدلالة من دورها في زرع الحيويَّة في منطقة التشكيل الشعري وفي ضوء هذه الحقيقة ينساق وراء التوظيف الرمزي في التوجَّات الدلاليَّة المختلفة ليجعل النص الشعري يتمتَّع بالحيويَّة ونشاط التلقي وإلى جانب ما قيل عن سلطة الشاعر على اللغة وعلى السياقات فلا بدَّ للقارئ في عمليَّة التلقي وفي ميدان الارتباط مع التشكيل الشعري الطافح بالرموز التي تتبعثر دلالاتها باختلاف السياق، أن يحمل في مواجهته للنص الشعري المحتوي على الرمز المتحرِّك، الخزين الشعري المعرفي لتحديد العلاقة بين السياق والرمز ومن ثم القبض على المعنى المقصود ففي ضوء هذه الحقيقة أنَّ القارئ الذي لا يحمل رصيماً شعرياً في مواجهته للنص الشعري لا يجنى من مواجهته للنص الشعري شيئاً.

إنَّ حركيَّة الرمز أو تشظي الدلالة من أبرز خصائص الرمزيَّة العربيَّة في شعر شعراء ما بعد الستينيات ولها صلته بالسياق اللغوي وفي مجال خلق الحركيَّة في الرموز يمتلك السياق سلطته على المبدع والشاعر معاً؛ فالرمز الواحد لا يتعكز على سياق شعري واحد ولا ينحى منحىً دلاليّاً واحداً بل يحمل الدلالات المختلفة حسب السياقات التي يقع فيها وللسياق دور بارز في تعيّن الدلالة في الرمز وله سلطته على النص في بناء الدلالة في النص الشعري المعاصر الذي يبني على التعبير الرمزي وهذه الحركيَّة التي تتمتَّع بها القصيدة المعاصرة، تنمُّ عن توهج الذاكرة الإبداعيَّة والمخيال الشعري الفذ للشاعر وهي تدلُّ أول ما تدلُّ على الانتماء القوي للشاعر إلى الحدائث الشعريَّة وليس من مجازفة القول أن نشير إلى أنَّ

طبيعة البيئة التي ينجز فيها الشعر، مسهمة على حد كبير في هذا التأرجح الدلالي الذي إنسم به الرمز الشعري ومن أهم ما يمتاز به الشعر العربي المعاصر هو حوارية التواصل بين النص وبين الحضور الرمزي للتراث. فقد اعتمد الشاعر المعاصر على التراث للتعبير عن الموقف المعاصر واستحضار التراث وسيلته لإضفاء الثراء والعمق إلى النص الشعري وهو مرتكزه المعرفي الأساس الذي يركن عليه للتعبير عن هواجسه وخلجاته النفسية التي تنبع عادةً عن الصراع بين نفسية الشاعر والواقع المعيش. حضور التراث في الشعر المعاصر حضور إيحائي يثور مشاعر المتلقي ويدغدغ أحاسيسه والوجه الإيحائي التأثيري للتراث يأتي للخلخلة التي تطرأ عليه. فالطرف التراثي لا يحمل دلالة المألوفة بل يحمل دلالة معاصرة تختلف عن دلالاته الأصلية وملامحه الرئيسة في مخزون الوعي الجماعي.

يعالج هذا البحث حركية الرمز وانحراف الحضور في شعر معد الجبوري وتتوخى بهذا التبصر النقدي، الإجابة إلى مجموعة من السؤالات منها:

ماهي الدلالات المختلفة التي تتبعث من رمز شعري واحد في شعر معد الجبوري؟

ماهو دورالسياق في خلق الحركية الدلالية للرمز الواحد في شعر الشاعر؟

للتراث حضوره الواسع الفضايف في شعر معد الجبوري فكيف يتجلى هذا الحضور في شعر الشاعر؟

١.١. خلفية البحث

فقد استأثر موضوع الرمز بوصفه واحداً من الأقاليم الثلاثة للشعر المعاصر العربي باهتمام الباحثين وكتبت دراسات كثيرة عن هذا الموضوع، منها: مقالة «مظاهر الرمز التراثي في شعر سميح القاسم» (١٣٩٤) للدكتور محمد رضا خضري ومنال فلاح ومقالة «الرمز وتطوره الدلالي في الشعر الفلسطيني المعاصر» (٢٠١٧م) كتبتها عزت ملاابراهيم ومحمد سالمى وهي منشورة بمجلة جامعة بنجاب والبحث دراسة لتطور الرموز الطبيعية والتراثية في الشعر الفلسطيني المعاصر ومقالة «الترميز في الشعر الفلسطيني المعاصر» (٢٠١٧م) — عباس يداللهى الفارساني وأطروحة «الرمز في شعر بشرى البستاني» (٢٠١٥م) للباحثة علاهن عبدالامير عبدالحسين في جامعة ذي قار وهي من متطلبات الماجستير.

معد الجبوري من أبرز الشعراء داخل الحركة الشعرية العراقية ولشعره مكانته المتميزة إبداعياً وجمالياً إلا أنه لم يلقى حظه من الدرس والتحليل ولم نجد بعد رحلتنا الطويلة في المواقع والمجلات ومن خلال تقصينا للموضوع إلا على ما كتبه الشاعرة بشرى حمدي البستاني تحت عنوان "شعر معدالجبوري: عنفوان التجربة وتوهج الصحاري" والبحث يحتوي على ٦ صفحات وهو متوفر في موقع الشاعرة www.dijila.com وتطرق فيها الشاعرة إلى دراسة الجانب الابداعي لشعر معد الجبوري في مستوى اللغة والايقاع والبحث رحلة عابرة في تجربة الشاعر تتوخى به الشاعرة أن تقدم بشكل موجز أنموذجاً عن شعر الشاعر للباحثين واختار اخلاص محمود عبدالله شعر معد الجبوري موضوعاً لأطروحته الدكتوراه بجامعة الموصل ودرس في رسالته على أساس المنهج السيميائي وظيفه العنوان في شعر الشاعر وهي وهذا البحث رحلة عميقة الرؤي في شعر معد الجبوري ودراسة للخصوصية التي اتسم بها شعر الشاعر وهي حركية الرمز والانحراف في توظيف التراث ولم نجد من بين البحوث التي تناولت موضوع الرمز في الشعرالعربي المعاصر بحثاً يمت بصلة لموضوع البحث ليتعكز عليه إلا ما كتبه الدكتور على خضري ورسول بلاوي وهاجر زماني تحت عنوان «مفردة النار ودلالاتها في ديوان مهييار الدمشقي لأدونيس» (٢٠١٦م) والبحث دراسة لحضور مفردة النار في شعر علي أحمد سعيد في البعدين السلبي والإيجابي ففي البعد الإيجابي تحمل النار دلالات الخصب والنماء وفي البعد السلبي تشي

بالعدمية والضياع والبحث هذا أول دراسة موضوعية لديناميكية الرمز في الشعر العربي المعاصر ويختلف عن سابقه بأنه يتناول رموز النار والريح ويعالج الحضور الدلالي المخلل للتراث في شعر معد الجبوري ونرى أنّ البحث السابق لم يصب قلب الحقيقة في القاء القبض على المعاني في ما قدّم عن شعر أدونيس وكثيراً ما اعتمد على بعض المقولات المطروحة عن شعر عبد الوهاب البياتي وخاصة خليل الحاوي الذي اشتهر شعره بالثنائية الضدية بين الموت والحياة وهذه الثنائية مطروحة في البحث السابق.

٢. الرمز الديناميكي

إنّ الرمز الديناميكي ينحدر عن خيال شعري ممتاز للشاعر وفي الحقيقة أنّ حضور الرمز الديناميكي في الشعر المعاصر إلى جانب دلالة على هيمنة الشاعر على اللغة الشعرية، ينطلق عن المخيلة الشعرية المتوهجة التي تخرج الرمز من أحادية الحضور وتجعله تشعّ بالدلالات المختلفة. إنّ الرمز الواحد لا يحمل الدلالة الواحدة في الشعر العربي المعاصر بل يحمل الدلالات المختلفة ودلالة الرمز لا تنكشف إلا بعد وضعه وتنسيقه في التراكيب اللغوية فكانت حيوية الاستعمال الخطابية للرمز هو الذي يمنحه المعنى والدلالة (الجنابي، جبارعبدان، ٢٠٠٨م: ٣٦) أو لنقل إنّ السياق هو الذي يعين دلالة الرمز وهذا التأرجح الدلالي في الرمز يرتبط بالخلق والإبداع. يرى الدكتور محمد جمال باروت أنّ الرمز الديناميكي صورة نشطة بينما الرمز بمعناه المألوف أو الاستعمالي صورة فاعلة وترتبط وظيفه الرمز الديناميكي بالخلق في حين ترتبط وظيفه الرمز بمعناه المألوف بالتعبير (باروت، ٢٠٠٩م: ٥٣) ومن هنا يمكن القول أن ديناميكية الرمز وسيلة للشاعر للتوصل إلى الشعرية الحقة التي ترتبط بالإبداع والخلق وليس هذا هو وظيفته فقط كما يرى جمال باروت بل يحمل الوظيفة التعبيرية أيضاً لكنّ الوظيفة الإبداعية تغطي على التعبيرية وما يلفت الانتباه بالنسبة لحضور الرمز الديناميكي في جسد القصيدة هو العلاقة والارتباط الحيوي بين الرمز والسياق أو ما يسمّى حركية الرمز والدلالة وحركية الرمز تدلّ أول ما تدلّ على براعة الشاعر وسلطته على النص وعمليّة خلق السياق والحساسية الشعرية. يرى عزالدين اسماعيل أنّ الفشل في الاستخدام الرمزي عند بعض الشعراء المعاصرين يعود إلى أنّهم يخفقون في أن يخلقوا السياق الرمزي المناسب (اسماعيل، ١٩٩٩م: ٢٠٠) لأنّ الرمز من حيث هو وسيلة لتحقيق أعلى القيم في الشعر، هو أشدّ حساسية بالنسبة للسياق الذي يردّ فيه والقوة في أيّ استخدام للرمز لا تعتمد على الرمز نفسه بقدر ما تعتمد على السياق (السابق: ٢٠٠) فظهر أنّ للسياق سلطته على المبدع في عمليّة الخلق وعلى المتلقي في عمليّة التأويل أيّ أن المبدع لا بدّ أن تكون فيه الحذقة لخلق السياقات المناسبة للرمز وإن ارتبك في خلق السياق لا يقدر على خلق الحركية والمتلقي لا بدّ له أن يفهم السياق جيداً ويعيه ويستوعبه ليتمكن من معرفة دلالات الرمز المختلفة ومما لا بدّ من الالتفات إليه هو أنّ النص الشعري في عمليّة خلق الحركية يحتوي إشارات توازر على فهم المعاني والدلالات.

٣. انحراف الحضور

للتراث فاعلية حضوره في النص الشعري المعاصر ويعدّ من أهم مقومات الحدائة الشعرية في الشعر المعاصر ويرتكز عليه الشاعر لتغذية منطقة التلقي لما يكمن فيه من المؤشرات الدلالية التي تثرى النص الشعري وتجعله ينبض بالحركة

والدلالة والإيحاء وفي الحقيقة أنّ حضور التراث في النص الشعري وهو خلفيّة معرفيّة للمتلقّي، يزيد النص الشعري إيحاءً ويمنحه عمقاً دلاليّاً ولاشك أنّ الشاعر «حين يتوسل الى إيصال الأبعاد النفسيّة والشعوريّة لرؤيته الشعريّة عبر جسور من معطيات تراثه، فإنّه يتوسل الى ذلك بأكثر الوسائل فاعليّة وقدرةً على التأثير والنفوذ» (عشري زايد، ٢٠٠٢م: ١٢١) فالتثقيف بالتراث والاستفادة من رموزه وأساطيره كما يرى الدكتور طه وادي هو وسيلة الشاعر لبلورة المعاني والإرتقاء بأدوات الشعر التشكيلية وقدراته التعبيرية (هلال، ٢٠١٠م: ٧٠) وما يزيد من فاعليّة حضور التراث ويجعل استخدام التراث استخداماً فنياً إيحائياً هو استخدامه المراوغ الذي يثير الدهشة عند المتلقي ويضرم الحركيّة في وعيه؛ فالشاعر المعاصر حين يستدعي الطرف التراثي ويخلعه ملامحه الرئيسة وينتزعها من كهوفه الأولى الحافلة بدلالات ثابتة ويضفي اليه ملامح الحاضر السليبيّة؛ فإنّه يبتغي بهذه التبادليّة، قدراً كبيراً من الفاعليّة والتأثير. يرى الناقد العراقي المعاصر علي جعفر العلق « أنّ الشاعر يسعى إلى انعاش الرمز الشعري بمعانٍ مضافة مغايرة والدلالة المضافة تتحاور والدلالة الأصليّة في نقطة بالغة التوتّر والخلخلة لشحن النص بمغزى دلالي ثر وإضفاء الفاعليّة إلى النص الشعري» (العلق، ٢٠١٣م: ٥٠) وهذه العمليّة تجعل النص أكثر قدرةً على التعبير والبوح وهي تأتي ضمن ما يسمّى بالإبداع الدلالي المرتبط بحضور الرافد التراثي المستخدم للتعبير عن الموقف المعاصر أو لتجسيد هواجس الشاعر النفسيّة وتأتي فاعليّة حضور الرافد التراثي في الصورة المراوغيّة المفارقة في الشعر المعاصر من قدراته على دغدغة مشاعر المتلقي ومن ثمّ دعوته إلى التأمل وإمعان النظر في النص الشعري المعاصر أو لنقل إنّ هذا الحضور يزيد من افتتان المتلقي إلى النص الشعري.

٤. حركية الدلالة في شعر معد الجبوري

ما يطرح في علم الدلالة في الدرس النقدي الجديد هو دراسة اللفظ للوصول إلى المعنى أو الدلالة أو إنّ الدرس الدلالي الجديد يهتم بدراسة الألفاظ لرصد المعنى الدلالي المقصود من اللفظ أو للقبض على الدلالة المكونة وراء التمثيل اللفظي للمفردة أو الكلمة أو ما يسمى في الدرس الدلالي الجديد بالدلالة المعجميّة وقد أطلق عليها في علم اللغة الحديث المعنى الأساسي والمركزي للفظة ويسمى أحياناً المعنى المفهومي (Conceptual meaning) أو الإدراكي (Cognitive) (مختار عمر، ١٩٩٨م: ٣٦) وهذه الدلالة في ارتباط منطقي وثيق مع السياق اللغوي حيث يأتي اللفظ في تناسب دلالي تام مع السياق الذي يقع فيه أم يتمّ التنضيد اللغوي في الجسد النصي بصورة يساعد على فهم المعنى المراد من اللفظ والسياق هو الذي يتحدّد به المعنى أو الدلالة المقصودة من اللفظ وإطار الدرس في هذا البحث هو دلالة اللفظ أو الدلالة المعجميّة لمجموعة من الرموز لشعر معد الجبوري مع الاهتمام بدور السياق في تعيّن الدلالة المقصودة.

١.٤.٤. النار

ترتبط النار مع ما تحتويه من المغزى الدلالي المختلف، بما جاء في الميثولوجيات المختلفة أو ترتبط مع التراث الديني وإلى جانب الرصيد الأسطوري والديني لمفردة النار فقد استخدمها الشاعر معد الجبوري في إطار الرمز الإبداعي

الدلالي وإبداعية الدلالة في مفردة النار تعود عادة إلى توهج مخيلة الشاعر الشعري. نقوم هنا بدراسة مفردة النار والدلالات المختلفة التي تنبثق منها:

٤.١.١. رمز الانبعاث

إنَّ التأكيد على الانبعاث وفعل الولادة الجديدة في الشعر العربي المعاصر، جاء كردة فعل على مشروع الإبادة التي كانت القوى الاستعمارية ولا تزال تمارسها ضد الحلم العربي وحضور فعل الانبعاث والتأكيد على الولادة الجديدة وسيلة الشاعر لشحن الإرادات في زمن تحاول فيه عوامل السلب والانفصال لإرغامها وتهميش حضور الأنا العربي وكانت الريادة في التعكز على فعل الانبعاث والولادة الجديدة لخليل حاوي وأدونيس وفي شعر شعراء ما بعد الستينيات نجد معد الجبوري أحرز قصب السبق في هذا الميدان والحضور المكثف للرموز والإشارات المعرفية التي تؤكد حتمية الانبعاث والولادة الجديدة في شعر معد الجبوري ينبثق من إرادة الشاعر العارمة بالرفض والتمرد فهو أيقونة الرفض والتمرد في الشعر العراقي الحديث ويرى أنَّ الرفض والتمرد على القوى المعادية للحضور العربي هو ما يعيد المياه إلى مجاريها في الأرض العربية ويسترد لها فاعليتها الحضارية وهذا هو سرّ الإكثار من الرموز التي تومض بالأمل والتفاؤل من خلال تجسيد حتمية الانبعاث والولادة الجديدة ومعاودة الحياة في الأرض العربية.

تعدُّ النار من الرموز التي تدلُّ على الانبعاث والولادة الجديدة في شعر معد الجبوري. فقد أكثر الشاعر من توظيف النار رمزاً للانبعاث ليبشر بالحياة الجديدة وبدء صفحة جديدة من العيش يخلو من الموت والتخاذل وامتهان الانسان. قال الشاعر في قصيدة شبيلي:

إيقاع الرقص على الضفتين، فَمَ ينفُخُ في النار/ذراعٌ تلوي عُثْقاً/شجرٌ في الغابة/هذا يومُ النذر/أُصغي لحريقِ دمي/يا شجرَ البؤاب؟ أشعلُ نازةً/وألمٌ حولي عاشقياً(الجبوري، ٢٠١٢: ٢٣٨).

فقد ارتبطت النار بالاحتراق الفينيقي المتمثل في لفظة الحريق التيبتسّر بالحياة الجديدة وتجاوز الواقع التعيس. جعل الشاعر النار رمزاً للانبعاث الجديد وهي تحت الرماد، معادلاً لحالة ترقب وانتظار الحياة الجديدة في العراق تحت وطأة الاحتلال الأمريكي للخروج من رماده ويعبر بها عن حتمية استمرارية دورة الحياة في العراق وتجاوز خفوت الحياة فيه بفعل الاحتلال الأمريكي كما أنَّ الفينيقي يحترق ثم يخرج من رماده عنقاء جديد وما يعزّز دلالة النار الانبعاثية، هو حضور إيقاع الرقص وهو يرتبط بأجواء الفرح والبهجة على الضفتين وأراد بها الشاعر دجلة والفرات وحضور الشجر وهو رمز الخصب والنماء وما يكرّسه الشاعر هو أن حالة الترقب والانتظار في العراق بحاجة ملحة إلى قوة محرّكة وهي الشهادة والموت في سبيل الأرض والوطن.

إنَّ الدم قرينة مضمرة للشهادة والموت ويدلّك به الشاعر على جمالية الموت والشهادة في سبيل الأرض والوطن ويرى أن الموت في سبيل الأرض والوطن هو موت بطولي يقود الأرض إلى شاطئ الأمان وهذا هو سرّ تسويق إضافة الحريق إلى الدم في هذا التشكيل الاستعاري حيث يكرّس بها الشاعر حقيقة تؤمن بها وهي أنَّ الانبعاث يحتاج العراق بفعل الشهادة والموت في سبيل الأرض والوطن وعلى الإنسان العربي أن يكتوي بنار معاناته ويضحّي نفسه فداءً لأرضه لتعود إليها الحياة كما أن العنقاء يموت ويحترق في النار وتصبح النار سبيله إلى الحياة الجديدة ويقول الشاعر في قصيدة أمام شهرزاد:

عندما تعشقين احترائي/ أمنح الريح أنشودتي/ والصحاري بُراقي/ أعبد النار/ ألقى النياشين بين يديك/ أرتمي جثة بعثرتها
شظايا/ من وميض العناق. (السابق: ٢٠-٢١).

فقد مزج الشاعر ببراعة بين رمز شهرزاد وبين النار في هذه اللوحة وجعل شهرزاد رمز الأرض ومن تعشق شهرزاد له الاحتراق والحياة في هذه الصورة التي تتمتع بديناميكية وتبادلية بين الأرض والإنسان هو الإنسان العراقي الذي يعاني من حضور السلطة الخارجية الباطشة التي تمثله شخصية شهريار وسر التماهي بين الأرض وشهرزاد هو خاصية الحياة والانعاش التي تمثله الأرض وشهرزاد عند الشاعر. «فشهريار بعد أن تعرض لخيانة زوجته، أخذ يقتل كل من يتوجه في صبيحة اليوم التالي إلا شهرزاد فقط التي نجت من قتله وكانت تروي له قصة لا تكملها حتى بلغ عدد ما حكى الف قصة وقصة وشفي الأمير من خلالها» (بكري، ٢٠١٦م: ٣٣) وهكذا استطاعت أن تنقذ النساء من بطش الشهريار ومن الموت المحتوم عليهن واستطاعت أن تروض شهريار وتقضي على طغيانه وخلصت الفتيات من سطوته وحالت بينه وبين التهور والانحراف (هلال، ٢٠١٠م: ١٠٤-١٠٥) وغدت هي رمز الحياة في الشعر العربي المعاصر والأرض لها أصلتها في العودة الى الحياة والانبعاث وخاصة الإخصاب وهذا هو وجه التماهي بين شهرزاد والأرض وسوغ للشاعر المزج بين شهرزاد والأرض يعبر الشاعر بتجسيد توق الأرض وإنسانها إلى الاحتراق والنار عن رغبة جامحة إلى الحياة والانبعاث.

والى جانب علاقة التماهي بين الأرض وبين شهرزاد، نجد علاقة حدّ التوحد بين الأرض وإنسانها وهذه علاقة ارتطام الحضور ومؤسسة على أساس الحبّ وهو القوة الكونية التي ترمم شروخ الأرض وتعيد لها فاعليتها فمنح الريح وهي رمز حركية الحضور أمام عوامل السلب والانفصال والقاء النياشين وهي نوع من الأوسمة رمز بها الشاعر عن كل ما هو جميل وقيم عند الإنسان وإرتماء الجسد وفيه إشارة إلى الاشتباك مع عوامل السلب والانفصال التي تهدف إلى تحطيم فاعليات الأرض والموت في سبيلها، تجسيد شعري عن علاقة الحبّ بين الأرض وإنسانها وهما في رغبة جامحة إلى الانبعاث المتمثل في رمز النار وفي فعل الاحتراق الفينيقي فالأرض تعشق إنسانها وتتوحي له حياة طافحة بالفاعلية والنشوة ودفء الحضور وهذا الحبّ هو الذي يخلق في نفسه توفقه إلى الشهادة والموت في سبيل أرضه لإنقاذها من عوامل السلب والانفصال وبث الحياة الجديدة فيها.

٤.١.٢. دلالة النار على الرفض* والتمرد:

تأتي لفظة النار في الشعر العربي المعاصرة في تموجها الدلالي دالة على معاني الرفض والتمرد والنار في دلالتها هذه، مرتبطة بالتراث أو لها رصيدها التاريخي الديني وما يطرح في هذا المجال عن حضور الرفض وهو المرموز المقصود من رمز النار ليس هو الرفض موضوعاً بل الرفض وفق الدرس الدلالي الجديد هو معنى الرفض المنبعث من الحضور السيميائي للنار في التشكيل الشعري. فقد ارتبطت النار في شعر معد الجبوري وهي رمز الرفض والتمرد بأول اشكالية في تاريخ البشرية وفي الموروث الديني وهي تمرد ابليس على إرادة الله وصار الشيطان بخروجه على إرادة الله والتمرد عليه رمزاً للرفض والتمرد عند الشعراء المعاصرين حيث يمجّدون فعله لأنه يمثله ذروة الحضور وقوة الإرادة والشاعر المعاصر حين يستخدم الشيطان رمزاً للرفض والتمرد فإنه «يريد أن يوحي بعظمة هذا الفعل وجسارة الخروج على إرادة السلطة ويمجّد هذا الرفض والخروج ويحفر من خلاله في ذاكرة المتلقي فعل التمرد والرفض ويدعو من خلاله الى سلوك طريق الحرية الأليم» (عثمان عباس، ٢٠٠٩م: ١٤٠). قال الشاعر مستخدماً النار رمزاً للرفض والتمرد على كل شيء يهتمس الفعل الإنساني النبيل:

لي ولكم/ أن نعتيق النار/ بلا كُتبٍ رسميّة/ الي ولكم/ أن نختارَ النارَ/ طريقاً وهوّيه/ ولمن يؤثّر درباً آخراً/ أن تخلع طارئةً
المؤتمرات عليه/ الألقاب المثلى/ والأوسمة الوهميّة. (الجبوري، ٢٠١٢م: ١٦٩-١٧٠).

إنّ النار رمز الرفض والتمرد على السلطة ويدعو الشاعر هنا إلى اعتناقها ديناً واختيارها هويّة وطريقة لمواجهة العدوان وعوامل السلب والانفصال. الهوية العراقيّة هي هويّة اللعنة الكبرى كما قالت بشرى البستاني وفي اطلاق هذا الاسم اشارة إلى تمرد الشيطان على إرادة الله وهذا التمرد هو ما استوجب عليه لعنة الله إلى يوم الدين. يدعو معد الجبوري في هذه اللفظة الشعرية إلى اختيار هذه الهوية درباً لتحقيق الحضور وإدامة الكينونة فهي التي تحييد من حضور الآخر وتتهي بأساسة الإنسان العراقي والعربي عموماً وتحقق مراميه ويتمكن الإنسان العربي من ملامسة قيس الحياة والانسياب وراء الشعارات المطنطنة والاجتماعات العقيمة لا ينبج له شيئاً سوى زيف الحضور ومآله في هذه الحالة إلى الاحباط والضيق وما يلفت النظر هو أن الشاعر كرّر الخبر وكرّر لفظه النار مرتين واستخدم الجملة الاسميّة بما تحمله من دلالات الوثوقيّة ليرسخ فكرة الرفض والتمرد في وعي المتلقي ويوظف الشاعر في مكان آخر من ديوانه النار للدلالة على معاني الرفض والتمرد:

كانت عناصرُ الجحيمِ تغتلي/ وأنا أحدُ أظفاري على الحديد/ والنارُ تشدّني إليها/ فأسوقها أمامي فرساً مُغيّرةً صعبةً/ كانت
خطايَ باشتياكها/ قناديلَ وألغاماً/ وكان الغضبُ الطالعُ من أصابعي مشطاً رصاصٍ/ ويدي حربةً/ كان دمي يطفحُ/ فوق
العربابِ والدروع/ ويسدُّ الثغراتِ والشقوقُ. (السابق: ١٦٧-١٦٨).

إنّ هذا النص الشعري يعبر عن صراع محتدم بين الشاعر وبين عوامل السلب والانفصاليّة التي عبّر عنها الشاعر بعناصر الجحيم تجسيداً لحالات العذاب والمعاناة التي تتثال على الإنسان العربي لحضورها في الأرض العربيّة ووسيلة الشاعر في مواجهته لها هي قوة الرفض العامرة التي رمز عنها الشاعر بالنار والتي تخلق عنده اندفاعه لمواجهة عوامل السلب والانفصال وينتهي الصراع بتوهج الحياة المتمثلة في القناديل وهي رمز الاشرار والإضاءة كما يوحي به النص وهي التي تعيد الأرض إلى شموخها الأولى وتردم الفجوات التي زرعتها عوامل السلب والانفصال على وجه الأرض العربيّة وتخلصها من العذابات التي تلمّ بها.

٤. ١. ٣. رمز العطش إلى الحرّة والسعادة وحبّ الانسان والحياة

تأتي النار في شعر معد الجبوري في حركيّتها رمزاً للمعرفة والحرية والفكر الإنساني المتقدم وهي بهذه الدلالة ترتبط بأسطورة بروميثيوس وفعل الحمل هو الذي يعبر عن الدلالة البروميثيّة للنار في النص الشعري وهو القرينة المؤازرة على تبين الدلالة. إنّ بروميثيوس يعني الاسم المتقدم وهو يتبنى قضية الإنسان ضدّ الآلهة ورمز للإنسان الصامد المقاوم في سبيل قضيته ورمز الإنسان الثائر المتمرد على ظلم الأنظمة الداخليّة والحكام. في الأساطير أنّ بروميثيوس هو إله يعشق البشر ولحبه لهم قرر أن يعطي المعرفة للإنسان وأن لا تبقى حكراً على الآلهة ولهذا سرق النار رمزاً للمعرفة من زئوس كبير الآلهة (بكري، ٢٠١٦م: ٣٣) وزئوس سرق النار أي وسيلة المعرفة من البشر وبعد أن سرقها بروميثيوس من كبير الآلهة، غضب عليه زئوس وامر الآلهة أن تأخذه إلى جبل كيقاوس وتشدّه إلى صخرة ضخمة يؤمها نسر بري متوحش ينقر جسده العاري ويلتهم كبده كلّ الصباح لينمو له كبد جديد في المساء وعلى رغم هذا العذاب فقد ظلّ صامداً ولم يطلب الصفح إلى أن خلصه هيرقل من أسرته (بالحاج، ٢٠٠٤م: ٨٥) وتمثّل هذه القضية نوعاً من الصراع بين المثقف والسلطة

في الفكر العربي المعاصر. فقد وظّف معد الجبوري هذه الشخصية الأسطورية واتّحد صوته مع صوت بروميثيوس رفضاً للفعل الجلجامشي:

أحمل ناري للديار/النار تنمو تحت جلدي. . تغتلي

تفتّح في دمي نوافذا/ أرى شواطئاً تضمّني/وبعد أن أذبح فوق عشيها/ قبرة الحزن،

والقي كفني/أترك سكّيني علامة/على الضفاف. . (الجبوري، ٢٠١٢م: ١٠٥-١٠٦).

يعبّر معد الجبوري عن نزعة البروميثية ويتمرّد على السلطة الدكتاتورية التي تمثل زنوس العصر في جبروته حيث كان الناس يعانون من قسوة الدكتاتورية والفقر والفقدان والاستعباد وكانت الدكتاتورية تحكم بمصائر الشعب العراقي وحملت الموت وكوابيس الخراب إلى الشعب وجرت الولايات إلى قومها كما أن زنوس سرق من البشر وسيلة إخصاب الحياة والسلم الى تفعيل الطاقات البشرية ويعبّر بدمج صوته مع صوت بروميثيوس عن إرادة صارمة ورفضه لفكرة الموت المسيطرة على الإنسان العربي. إن النار هي النزعة إلى الحرية والسعادة وروح الحياة واتّحد الشاعر في هذه القصيدة مع بروميثيوس ليخلق عند الشعب النزعة البروميثية في تعطشه إلى الحرية وحبّ الحياة ليدفعهم إلى التمرد على آلهة العصر وهذا التمرد هو الذي ينبثق منه استمرارية الحياة المتمثلة في البحر تضمّنه الشواطئ ويزيل الاعتراب عن وجه الأرض العربية وما يكرّسه الشاعر عبر المامة بأسطورة جلجامش وصديقه من خلال الإشارة إلى الحزن ونبذ الكفن والتشبث بعشبة الخلود، هو رفض فكرة الموت والاضمحلال الإنساني تحت وطأة الظلم الدكتاتوري والتشبث بالحياة ورفض هذه الفكرة والتشبث بالحياة والبقاء رغم ركّامات الموت المحدقة بالأرض العربية، ينبعان من التعطش الدائم إلى الحرية والسعادة والنزوع إلى حبّ الإنسان. إن انكيكو كان صديق جلجامش في الميثولوجيا الاغريقية وذهب انكيكو ليعانق الموت ويقبض الخلود لكنّه تلاشى امام حقيقته وانكسر بعده صديقه جلجامش امام الغياب الأبدي ولم يبق له من سمات الحياة ومات في حزنه الدائم على فقد صديقه ويكرّس الشاعر عبر اشارة مضمرة إلى هذه الاسطورة أنّه لا يسترسل أمام الموت المحتوم على الإنسان العربي من قبل الأنظمة الداخلية والدكتاتورية التي صارت سيفاً مسلطاً على رقاب الشعب العراقي ويتشبث بالحياة ويرفض الخنوع امام عوامل الموت ويسعى من خلال استحضار شخصية بروميثيوس ليخلق عند الشعب حبّ الحياة والتشبث بها ليدعوهم على التمرد على ظلم آلهة العصر؛ لأنّه يرى أنّ الرفض والتمرد المنبثقان من حبّ الحياة والتعطش الى الحرية المتمثل في رمز النار يحققان للإنسان العربي الحضور كما يعبّر عنه الشاعر بترك السكين علامة للحضور العارم بالرفض والتمرد على الضفاف وما يلفت النظر في هذه الفقرة الشعرية هو الانزياح الذي اطراً على النص الشعري من خلال كسر العلاقة بين الفعل والفاعل في نموالنار تحت جلد الشاعر والحقيقة أنّ الشاعر لجأ إلى توظيف الانزياح في هذا التشكيل الشعري الذي يشاكس المتلقي ويثير فيه الافتتان، ليعمق من دلالات النص الشعري وليزيد من دلالة الصورة على الحب المنبلج في صدر الشاعر للحرية والحياة واسعاد الإنسانية.

فقد تأتي النار في الشعر العربي المعاصر رمزاً للخصب والنماء وهي في دلالتها هذه تبرز مع رمز الأنوثة في واهبة الوهج للحياة وهي ترتبط بالخصوبة والنماء في الميثولوجيا العراقية. وظّف الشاعر معد الجبوري النار في أكثر من موضع من دواوينه الشعرية للدلالة على الخصب والنماء:

أنتظرُ النار /ها أنتِ تمنحين صوتي جسداً /وها أنا أنهض من بئري،
أميظ عن أصابعي /قناع الموت/امن جاء بهذا البرق، اكي يُسعلُ ناراً بين الاشجار/
من الجمر الذي يقدحُ/ تحت الشجر المذبوح/حيث تنحلُّ طولاً، /فوقها نامت طولاً/طافحاً أعدوا/
وتعدو معي الغزلانُ/الوديانُ والرَّيحُ (الجبوري، ٢٠١٢: ٤٢٦-٤٢٧).

تجسد الفقرة الشعرية حياة تسودها الفاعلية والخصب والنماء. فقد مزج الشاعر في هذه اللوحة رمزية النار برمزية المرأة للتعبير عن حالات الخصب والنماء وتقنعت وراء شخصية يوسف^(٤) ليؤكد حتمية الخصب والنماء بعد تجاوز النضوب الحالي النابع عن ممارسات السلطة الاستلابية؛ فتنظر الشاعر قدوم النار وهي الخصب والنماء والقرينة السياقية التي تحول إلى أن النار رمز الخصب والنماء هو لفظة الأشجار وهي ترتبط بدلالات الخصب والنماء وحضور يوسف من خلال مفردة البئر وهي تعيدنا إلى ما فعل الإخوة بحقه حيث القوه في البئر وادعوا أنه أكله الذئب، يبشر بحتمية تجاوز النضوب إلى الخصب والنماء فتوظيف البئر معادلاً موضوعياً للمحنة والمعاناة تحت الاحتلال الأمريكي، تعبّر عن حقيقة تمتلك رصيدها في وعي المتلقي فكما أن يوسف^(٤) تجاوز محنته في البئر وصارت البئر وسيلته للتوصل إلى العزة والمكانة وهكذا العراق يتجاوز محنته ويتخلص من الديمقراطية الدموية الأمريكية ومن بئر العذاب والمعاناة التي حفرتها الولايات المتحدة للعراق بذريعة بناء الحرية والديمقراطية فيه ويعاود الخصب والنماء المتمثل في النار وما يؤكد الوعي الممكن في هذه اللوحة التي تتمتع بقدر كبير من الحركة والدهشة في مستوى الصور، هو تجسيد نحول الطول بجمر يعزّز دلالات النار المتسمة بالخصب والنماء والنحول وهو الزوال ويومي بضياح الحضور الأمريكي والعدو خلف الغزلان والرياح تجسيد لأجواء الفرح والبهجة في حياة عارمة بالخصب والنماء بعد تجاوز المحنة الأمريكية وحالات الانكفاء والجمود حاqqته بفعل الأمريكي كما حصل للنبي يوسف^(٤) وقال الشاعر في قصيدة ليلة الإسراء:

هذا عصرٌ توهج فيه الناظر، أعلى وجه الماء، /اني لأرى في مسراي/
صروحاً تنهار/ أرى في مسراي/مقاريف حديد/ تفرض السنة الخطاب/والسنة الشعراء/
وأرى أنهار دم/ تورق فيها جنتُ الشهداء/والشمس تسقط خلف الجبال (السابق: ٣١-٣٢).

والنص مع ما يحتويه من إشارات الخصب والنماء يضعنا أمام لوحة شعرية تركز الوعي الممكن الذي ينحدر عن الوعي الشعري الشديد للشاعر بالحقيقة الشعرية؛ فالحقيقة الشعرية تتطلب من الشاعر أن يواكب تأسيس الوعي بالواقع عند المتلقي برؤية مستقبلية تقود إلى الأمل والتفاؤل ومن ثم إلى المقاومة والصمود وهذا هو سرّ حضور الاشارات التي تومض بالحياة والاشراق في كل كلمة يقولها معد الجبوري. إن النار رمز الخصوبة والنماء والشاعر لإضفاء هذه الدلالة على النار، خلق السياق المناسب واستثمر بعض الاشارات التي تترشح منها دلالات الخصب والنماء ليعزّز دلالة النار على الخصب والنماء ومن أبرزها حضور الماء والنار توهج على وجه وتوهج النار على وجه الماء تجسيد شعري مبنى على الوعي الممكن الذي يعبر عن حتمية الخصب والنماء بعد انهيار صروح السلطة الأمريكية وأفول الشمس الأمريكية وانهار الدم وهي تورق وفي هذا التشكيل إشارة إلى قوله تعالى ﴿فلا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء وعند

ربهم يُرزقو ﴿﴾ (آل عمران ١٦٩) والتشكيل المفاجيء للمتلقين كسر ما يسميه ياوس أفق الانتظار أو أفق التلقي عنده من خلال كسر المؤلف في تجسيد توهج النار على وجه الماء، يعبر عن مفارقة تامة بين حاضر العراق وبين المستقبل الذي يؤول اليه وما يلفت النظر في هذه اللوحة هو توظيف الشمس رمزاً للسلطة الأمريكية وهذا التوظيف الرمزي ينحدر عن ملاحظة إيدنولوجية للشاعر ويعبر بها عن الحضور الظاهراتي للسلطة الأمريكية وهو في مفارقة مع نواتها الأصلية فالشمس هي واهبة الحياة والنور للبشرية وجاءت الولايات المتحدة إلى العراق وهي تنادي بالحرية والديمقراطية وبناء الحياة وهي دخلت العراق في لبوس الشمس لكن ما صدر عنها هو إطفاء الحياة وإطفاء الزنبقة العراقية كما جسدها بشري حمدي البستاني وقال في قصيدة وردة الدم:

رائحة الأرض هنا تفوح/الورد في يديك/والقلب غزال طافح/بين حقول النار/

لا تلوي خطاة الريح/العشب في الربايا/الدماء تنثر الورد/

وتلتم على هلاهل الصبايا. (الجبوري، ٢٠١٢م: ٣٢٥-٣٥٣).

ويؤسس الشاعر في هذه اللوحة مثل المقاطع السابقة يقينية عودة الخصب والنماء في نفسية المتلقي ويجسد ضعف الآخر الأمريكي في مواجهة الأرض العربية. إن النار رمز الخصوبة والنماء والقرينة السياقية التي حفت الدلالة المشتمة بها النار هي الورد والحقول كما انتشرت في كل المقاطع لخلق السياق المواءم للدلالة الجديدة التي تحملها النار في النص الشعري والمكان للعودة إلى الخصب والنماء يتمتع بالعنصرين الأساسيين يتصلص بهما الحضور الخارجي وهما التشبث بالأرض عند الإنسان العربي والتعلق بها وهو ما يعبر عنه العشب في القصيدة وأصالة الشهادة التي آتسم بها المكان فالريح رمزاً للسلطة مع ما فيها من دلالات الخراب والتدمير لا تتمكن من القبض على مبتغاها في الأرض العربية ولم يعد لها أن تعرقل مسيرة الأرض نحو الفاعلية؛ لأن الأرض أرض المقاومة والحضور ولإنسانها التشبث بها حتى الموت.

٤.١.٥. رمز الخراب والدمار

وتأتي النار في تأرجحها الدلالي وعبر انسيابية دلالاتها رمزاً للخراب والدمار ولعلنا لا نجافي الحقيقة إن قلنا إن أول دلالة تتبادر من النار إلى الأذهان وتلامس الوعي هي دلالة الخراب والدمار وهي تعود إلى عادة الضياع الذي ينبثق من الاحتراق من غير دلالاته الأسطورية. قال معد الجبوري في قصيدة صورة وأخرى مستخدماً النار للدلالة على الخراب والدمار:

ومدينتنا هذي/كانت دار أمان/أرض من ذهب/وسماء صافية زرقاء/ظلال وإرقة/

وقطوف دانية/ويوت مشرعة الأبواب/من الفجر إلى الفجر/الأطفال يها

مثل طيور/نطلقها في أي مكان/من أين إذن جاء الخوف/

لماذا غلقت الأبواب/ودبت في الطرقات الناز؟ (الجبوري، ٢٠١٢م: ٦٨٨).

فقد انبنى النص الشعري على مفارقة تصويرية بين ماضيه العراق وما آل إليه تحت وطأة الاحتلال الأمريكي منالتفتت والتشظي ويتجسد به ثقل الزمان والمكان في الزمن الراهن وفاعلية الزمان والمكان قبل أن تزحف فيها نار الخراب والدمار. إن النار وهي في موائمة تامة مع سياق المفارقة والمركز الأساس للشاعر في خلق بنية المفارقة في النص الشعري، هو رمز الخراب الذي حلّ بالعراق وتغليق الأبواب تجسيد شعري

للجمود والانتكفاء وهو ما اتسم بهما العراق المعاصر في الزمن الراهن ووصف المدينة بدار الأمان وأرضها بالذهب وزرقة سمانها تعبير عن ماضي العراق الطافح بالفاعلية والقطوف الدائبة وهي تتناص مع ما جاء في سورة الحاقة ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ، كَوَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة ٢١- ٢٤) مع تشبيه الأطفال بالطيور، إشارة إلى فضاءات الحرية والونام التي كان العراق يعيش فيها وقال في قصيدة أرى رأى العين:

نازٌ تسعى فوق الماء/يوم رقت النار على وجه الغمر/أرى مقاريض الحديد/تهرس أسنة الأبواق/

والرّمح تبعج الطبول/وما بين الطلقة والطلقة/ما بين الوردة والعجلات/وقفت/كي لا تدمى الوردة بين العجلات/أقمت
أمام البيت الأمين/كي لا يغدو البيت خرابا/والأرض يبابا/أقصيت النار وأدنت الأشجار/ليدنو من شفتيك العنقود/أثرت
لأجلك/أن يأكل من جسدي البارود/بالحريق الذي شرب في/أبدد عتمة ليلي الطويل. . (الجبوري، ٢٠١٢م: ٤١٢-٤١٣).

(٤١٣).

فقد لبس الشاعر لفظ النار في هذه القصيدة دلالة الخراب والهدم والدمار ليوحى عبر النص وبتوظيف روافد الأصالة التي تنتمي إلى الحضارة العراقية بصراع بين عوامل السلب والانفصال التي ترمي إلى تحطيم فاعليات المكان وإطفاء بزوغه وبين الشاعر بوصفه الإنسان الثائر الملتزم بأرضه وبقضيته ويضحى بنفسه في سبيلهما ووسيلته لهذه المواجهة المحتومة هي قوة الإرادة العارمة بالرفض والتمرد المتمثلة في الحريق الذي يبدد به الشاعر فتامة الواضع المعيش ويهته الإشراق والإضاءة. فتجلت المواجهة بحضور النار وهي تحمل دلالات الخراب والدمار على وجه الماء وهو رمز العراق وعنوان حضارته المتسمة بالحركة والفاعلية وتمزق الطبول والأبواق وهي من روافد أصالة الحضارة العراقية التي كانت وسيلة التنبيه والتحفيز بفعل الرماح ويواجه الشاعر بقوة وحماس حضور الآخر الأمريكي وإشاعته للخراب المتمثل في رمز النار في سعي دعوب لإقصاء الخراب عن وجه الأرض وإعادة الخصب والنماء إليه وما يلفت الانتباه في هذه القصيدة التي تتجسد فيها المواجهة بين عوامل الخراب وبين الإنسان الثائر المتمرد هو أسنة المكان حيث نرى الأرض لها الشفتان وصارت الوردة وهي رمز المكان إنساناً يقف الشاعر هائلاً بينها وبين عوامل الخراب لئلا تدمى الأرض وأنسنة الرمز تعتبر عن وعي الشاعر الإبداعي وتكون استجابة لما يرتاده الأدب الملتزم بالقضية الإنسانية «حيث تكون ردة فعل على مشروع الإبادة الموجهة إلى الأرض العربية» (شريح، ٢٠١٢م: ٥١). وتحدث عن ملاحظة ايدئولوجية وهي أن الأرض رغم كل المحن والمكابدات إلا أنها تبص بالحياة ولها حضورها.

٤.١.٦. رمز العذاب والمعاناة

ومن الدلالات التي تحملها مفردة النار في التشكيل الشعري، هي دلالة العذاب والمعاناة التي يكتوي الإنسان العربي بنارها والتي تعيش فيها الأرض العربية وتحدث عن الانهيارات الممضنة التي يكابد منها. فقد استخدم معد الجبوري في قصيدة مراجعات أخرى لفظ النار رمزاً للعذاب والمعاناة:

أنشر صوتي بين الناس/قميصاً قد تكون اتخذت لصوتك/ في النار، دربا/وما بين حدين من شرير ورماد/

أقمت له منزلاً/والوردة السابعة/تطلع باسم العراق/وأنا أعاقبها/وأمنع وجهها طريقي/وشمي/العيونها/

في النار خضت بمرطتي/وأزشت سهبي/تخضر البلاد. . . (الجبوري، ٢٠١٢م: ٢٨١-٢٨٢).

إنَّ النار في هذه اللوحة رمز للعذابات التي تنوء بها الأرض العربيَّة نتيجة حضور الآخر الأمريكي؛ لكنَّ هذه العذابات تنتهي والأرض تتجاوز عذاباتها وتدخل العذابات التي منبت بها الأرض في حيِّز النسيان بفعل القميص رمزاً لإزاحة الحزن عن وجه الأرض وهو يتناص مع ما جاء في سورة يوسف (إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) وتأتي نتيجة حوارية تواصل يعبر عنها حضور الصوتين بين الإنسان وبين الأرض وهذا التواصل هو الذي يخرج العراق من محنته وما يلفت النظر هو خروج النار عن دلالات العذاب والمعاناة إلى رمز السلطة وهذه التناقضية نوع من استفزازية الدلالة في سياق واحد ترتبط بالإبداع فالنار في سياق المواجهة بينها وبين الشاعر رمز السلطة الأمريكية ووجه تسويق استعارة النار رمزاً للسلطة هو الاشتراك الدلالي بين النار وبين السلطة فكما أن البشرية بعد ملامسة النار تحترق ويشعر معه الإنسان بالألم والأذى فهكذا السلطة تلحق الأرض وإنسانها العذاب والمعاناة.

٤. ١. ٧. رمز العدمية الإيجابية

فقد ارتبطت النار في شعر الكثير من الشعراء المعاصرين بدلالات العدمية والضياع لكنَّ معد الجبوري أزال عنها صداً الدلالة المألوفة التي ترتبط بالعدمية التي هي الضياع والبسها دلالة العدمية الإيجابية التي تنبثق منها الحياة:

يدعونني أن ألقى نفسي/بين شظايا أجساد/تطايُر عند خطوطِ الناز/أكونُ خلاصي/وخلصُ مدينتنا/
عند خطوطِ الناز/؟ أفعُدُ عند السوز/ في عُنقي حبلٌ من الرمل/أطالعُ الجموع/ في كُتُبِ القِفاز/
أحلمُ أن يطلعَ طيرُ الناز/من قفصِ الدموع/أعتنقُ الرحيل نحو/الماء. . (الجبوري، ٢٠١٢م: ٩٨-٩٩).

فالنار في هذه القصيدة رمز الضياع والعدمية والعدمية هنا رديف للحياة والقرينة السياقية التي تكسب النار دلالة العدمية الإيجابية هي التطاير وهو مرتبط بأجواء الحرية وقرينة الخلاص والنار بهذه الدلالة تنتمي إلى فعل الإنسان بينما كانت في دلالتها على الخصب والنماء ومعاودة الحياة تنتمي إلى فعل الأرض فعدمية الإنسان في مواجهته لعوامل السلب والانفصال هي التي تعيد لها الحياة وتمنح الإنسان الحرية المتمثلة في تطاير الأجساد عند خطوط النار.

٤. ٢. الريح

إنَّ الريح من الرموز التي استمدها الشاعر بدلالاتها الإيجابية والسلبية من الطبيعة وهي تتسم بالخصوصية السياقية التي تكسبها لا النواة الدلالية الثابتة بل الدلالة المتغيرة السياقية. قال معد الجبوري في قصيدة لقاء أخير:

أتلَمُّسُ وَقَدَ الرمالِ/التي عَلمتُ في عظامي/ هل أنا العاشقُ/المُسَخَّيْتُ المُسَرَّدُ/قد أكونُ الغريبَ/
الذي أنكرتهُ الدروبُ/ القَتيلَ الذي أنكرتهُ القبورُ/غَيرَ أُنِّي/ لَنُ أكونُ المهاجرَ/
ما دامَ بيني وبينَ الرياحِ/اشتباكٌ/وبيني وبينَ الصِّفافِ/ لقاءً أخيراً (الجبوري، ٢٠١٢م: ٩٠).

المشهد الشعري في هذه القصيدة يجسد الصراع والمواجهة بين الشاعر وهو رمز الإنسان الثوري المقاوم وبين عوامل السلب والانفصال. إنَّ الرياح بما تحملها من دلالات الخراب والتدمير رمز للسلطة الأمريكية التي حملت الخراب والدمار للعراق بذريعة بناء الديمقراطية فيه وحملت التشريد والقتل لأهله والاشتراك الدلالي هو الذي سوَّغ للشاعر

استعارة الريح رمزاً للسلطة التي تشدُّ أهل العراق وتقتلعه عن مكان الألفة المتمثل في الدروب وتشيع عليه الاغتراب وهو في وطنه لكنّه رغم كلّ ما ينثال عليه من المحن والمكابدات يتشبّث بأرضه ووطنه كما توحى به صورة تلمس وقد الرمال وهي رمز أصالة الأرض ولا ينكمش حضوره في مواجهة الرياح ويشتبك معها ورغم كلّ الضغوط وظروف القمع والتكبل إلا أنّه لا يغادر وطنه الأم ويبقى صامداً مرابطاً لأرضه في مواجهة السلطة الأمريكية وهذا الحضور والوقوف بوجه الرياح هو الذي يجبر السلطة على أن ترحل عن أرض الرافدين لا ترجع إلى أعقابها:

فَقِفْ/حَتَّى يَجْنَحَيْنِ مَهِيضَيْنِ/بُوجِهِ الرِّيحِ/وَجَسَّ جَبِينِ الأَرْضِ/فَمَ الجِرْحِ/الأَرْضُ تصبِيحُ/الجِرْحُ يصبِيحُ/
سَترحُلُ تَلْكَ الرِّيحُ/فَلَنْ تَطْوِي الأَفْقَ السَّحْبُ السُّودُ/وَلَنْ يَبْتَلِعَ الشَّمْسُ عُرابِ..

ووظف في مكان آخر رمز الريح قائلاً:

بالحبِّ والفرحِ احتَمَلْتُ/أوطَوْفَتْ حَوْلِي المَوَاكِبُ والأَغَانِي//أضْرَبُ حَوْلَ حَقْلِ الوَرْدِ
/أسواري/اسيظُلُّ سِيفِي ساطِعاً في الرِّيحِ/يخطفُ صرْحَةَ الثورِ الذَّبِيحِ/
وبالرَّحِيْقِ يظُلُّ مُكْتَبِرًا فُوَادِي.. (السابق: ٣٣٠-٣٣١).

يجسد هذا المشهد الشعري أجواء الفرح والبهجة التي تلتفت الشاعر بوصفه الإنسان الثوري وهذه الأجواء المحيطة به تتمخض عن فاعليّة حضور الإنسان المقاوم في سياق المقاومة. إنّ الريح رمز للغضب الثوري الذي يتمتّع به الإنسان المقاوم وهو الذي يخرج من القمم إلى غمار الحياة والمواجهة ويزرع في نفسه الحماس لمواجهة العدوان ويحقق له الحضور كما يوحي به حضور السيف الساطع في الريح ويحقق الخلاص للعراق الحضاري من براثن الطاغية المحتكر كما يوحي به خطف صوت الثور وهو يتضمن إشارة حضاريّة واستخدم الشاعر في مكان آخر من ديوانه الريح رمزاً للحرية وأضاف إليها لفظة الكهف ليعبّر بها عن كبت الحريات في المجتمع العراقي زمن دكتاتورية صدام حسين:

نحنُ لم نقرأ بعدُ/ما في كهوفِ الرِّيحِ/لم تبدأ الإشارةُ مِنّا/لا أقولُ: الطريقُ شِبْرٌ/أفحلمي مُوغِلٌ في المدى/
وخطوي نبيّ/لم يزل يسكنُ المغارةَ/وأنا أستحِمُّ بِالشَّرْرِ الطالِعِ من أعماقي/وأنساخُ في غابة صوتي/أطالِعُ الشجرَ المُثَقَّلَ
بالجمرِ/البُسُ الجمرِ/أنتمُ على نُظْفَةٍ رأْتِ رَجَمَ السَّرِّ/فَسَقَّتْ أنوابها المَسْحُورَةَ. (الجبوري، ٢٠١٢م: ١١٥-١١٦).

وتأتي الريح في شعر معد الجبوري يؤشر بها الشاعر إلى ارهاصات الثورة والخلاص من الغاصب المحتكر أو يعبر بها عن تخوم التيه والضيق في العراق أو تأتي رمزاً لأجواء الفرح والبهجة ورمز العذاب والمعاناة خاصة حين يصفها الشاعر بلون الصفراء ليزيد من دلالاتها وإيحاءاتها والدلالات الأخرى التي تتبين حسب السياقات التي تقع فيها الريح.

٥. انحراف الحضور

إنّ حوارية التواصل بين التراث والنص المعاصر هي من أهم مقومات الحداثة الشعريّة. يعدُّ التراث ومعانيه من أهم مرتكزات الشاعر للقبض على الجماليّة والفنيّة في تشكيل الرؤي الشعريّة فعندما يستخدم الشاعر المعاصر المعاني التراثية (فإنّه يفتح آفاقاً رحباً أمام تنامي القصيدة ويتيح الاستلهام من التراث للشاعر وللمتلقي الاتكاء على ما تفجّره الشخصية التراثية أو الموقف التاريخي من مشاعر ودلالات تحفظ القصيدة من التّسرب في سردية باهتة أو خطافية زاعقة) (هلال، ٢٠١٠م: ٦٩-٧٠) وما يزيد من فاعليّة حضور التراث ومعانيه في النص الشعري المعاصر، هو نزاع ملامحه عنه وإسقاط الملامح المعاصرة عليه أو زرع الخلخلة في الملامح التراثية؛ حيث وجد فيه الشاعر المعاصر مناسلاً لتعريف الواقع المعيش عبر بناء المفارقة في النص الشعري بالانحراف عن الدلالات التي استأنسها الوعي الجماعي.

يعدُّ التراث من الروافد المعرفية لشعر معد الجبوري. فقد إتجه الشاعر في توظيفه للتراث ومعطياته اتجاهاً فنياً إيحائياً يزيد من قدرات القصيدة التعبيرية ويعمق فاعلية النص الشعري في مسار إنتاج المعاني والتوليد الدلالي ويكون من أهم المآلات الدلالية التي تتسم في جزء كبير منه بالانحراف الذي يصدم وعي المتلقي ويكسر أفق التلقي ويخلق الجمالية والدهشة في التشكيلات الشعرية ويثري المناخ الدلالي لبيئات النص الشعري وما لا بد من الالتفات إليه هو أنَّ الخلخلة التراث ومعطياته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالواقع المعيش أي أنَّ الواقع المعيش بما يحتويه من المفارقات والتناقضات والإشكاليات، هو الذي يجلب الشاعر إلى التوظيف المخلل للتراث في نصه الشعري ومن صور الانحراف في شعر الشاعر نجدها في قصيدة أهل الكهف:

يَضِيقُ بِنَا الْكَهْفِ/نَغْفُو/بِقَلْبِنَا الْخَوْفِ/ذَاتِ الْيَمِينِ/وَذَاتِ الشَّمَالِ/وَتَمْتَصُّ أَجْسَادَنَا هُوَّةُ الصَّمْتِ/
يرسبُ طِينُ الْقُرُونِ بِأَعْمَاقِنَا/حَدَرْنَا نَوْمَنَا الْأَبَدِيَّ/وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي السَّبَاتِ/أَفْتَنَا عَلَى شَيْخٍ/يَسْتَظِلُّ بِأَوْجِنَا
بِمَلَأَ الْكَهْفَ/قَلْنَا: هُوَ الْغَدُّ/قَلْنَا: هُوَ الْأَمْسُ/حَاصَرْنَا الْوَهْمَ/طَالَ الْجِدَارُ/انْتَفَرْنَا
تَقَاصَرَ ظِلُّ حُطَانِنَا/وَسَافَتْ مَخَالِنَا// فَارْتَدَيْنَا ثِيَابَ الْغِيَابِ(الجبوري، ٢٠١٢م: ١٥-١٦-١٧).

فالعنوان "أهل الكهف" يعيدنا إلى قصة الكهف في القرآن الكريم. والانحراف حدث بالمفارقة بين حضور الكهف في القرآن وبين حضوره في القصيدة فكان الكهف مأمن الذين لاذوا إليه فراراً من بطش دقيانوس وزُجوا في سبات عميق وكان الله يقبّلهم ذات اليمين وذات الشمال وكان الكهف وسيلتهم للحضور الأبدي كما يكرسه النص القرآني بينما الكهف في القصيدة لا يحمل دلالة المخصصة بها وصار محل غيابهم ويضيق بهم وإذا كان الله يقبل أصحاب الكهف ذات اليمين وذات الشمال فأهل كهف القصيدة يقبّلهم الخوف وهاجس الموت وإذا كان الكهف مأمن أصحاب الكهف يزيل عنهم الخوف فأصحاب الكهف في القصيدة يطاردهم الخوف والقلق واللا استقرار الأبدي وغدا الكهف حصارهم يزجهم في الحيرة والدهشة وإلى جانب المفارقة بين الكهف في القرآن وبين كهف القصيدة هناك مفارقة بين أصحاب القصة القرآنية وبين أصحاب كهف القصيدة فأصحاب الكهف في القرآن اشتهروا بالثبات على الإيمان بالمبدأ مهما كانت الصعاب وبمواقفهم الصارمة أمام السلطة الباطشة بينما أصحاب الكهف في القصيدة هم المتسمون برخو الحضور والصمت المقيت أمام السلطة الدكتاتورية إذن الكهف هو النواة المركزية لهذا النص الشعري واختلاف الدلالة بين الكهف في القرآن وفي القصيدة حيث لانجد بين الكهفين اشتراكاً دلاليّاً والاختلاف بين الأصحاب هو ما يشكل نوعاً آخر من الانحراف في قصيدة معد الجبوري وقال الشاعر في قصيدة قميص يوسف:

يوسفُ لم يزل في الجُبِّ/لم يسمَعْ به أحدٌ/ولم يره أحدٌ/هو ذا قميصي/أقد من دُبُرٍ/ومن قُبُلٍ/وذا ماني القَراح/
ولغث به سَبَعٌ عِجَافٌ/ ما تزالُ تفتحُ في وجهي/وتتفتُّ في العَقْدِ/ما لا يراه سِوَايَ كُنْتُ رأيتُ/الكن/
مَنْ قَصَصَتْ عَلَيْهِمْ رُؤْيَايَ/اصْدُوا/انْمِ سَدُّوا حَوْلِي الْأَبْوَابَ/مِنْ غُلٍّ/أوزاغوا مِنْ حَسَدٍ/وَالآنَ
.. حتى الآن/في حلقي دمٌ من كَيْدٍ ما كادوا/وفي أعناقهم منِّي/حِبَالٌ مِنْ مَسَدٍ.. (السابق: ٥٤٩-٥٥٠).

ووجه الانحراف في الحضور يكمن في الهوية الجديدة التي اكتسبها يوسف^(٤) في القصيدة فيوسف العصر وهو رمز الإنسان العراقي أو الفلسطيني لم يجد سبيله إلى الخروج من الجبِّ ولم يره لأحد ولا سيارة وقميصه قد من دُبُرٍ وقيل وهو قصص رؤياه على إخوته وزرع في أنفسهم الحسد والغبطة وصار ضحيتهم الممعة في الجمال والبراء بينما يوسف هو في القرآن لم يقصص رؤياه على إخوته وسرّ تسويغ الانحراف في الحدث وفي الشخصية يكمن في توخي تعميق

الاحساس بظلم الأنظمة العربيّة الداخليّة التي توأمر ضدّ الشعب العراقي والفلسطيني وتحالف مع القوى الخارجيّة لممارسة مشروع القتل والذبح والاقتلاع في الأرض العربيّة وقدّ القميص من كلّ الجهات شاهد على الجريمة التي ترتكباها الأنظمة الداخليّة وثمة نوع من الانحراف في قصيدة قميص يوسف وهو اسقاط ملامح أبي جهل على إخوة يوسف وفي هذا المزج الانحرافي دلالة على الخطيئة التي جرحتها ولا تزال الأنظمة الداخليّة ضدّ الشعب العربي ومن صور انحراف الحضورنجدها في قصيدة محنة السندباد:

في مَقَلَّتِي شهرزادُ/طالبتِ اللبلة الألفُ/طالتُ/تَمَطَّتْ خَطِي السِنْدِبَادُ/وانتظرننا سنينا/أهرمنا على العتباتُ/والتجأنا إلى
الرحلةِ الثامنةِ/بعد أن قيل: مات/دُفِنَ السِنْدِبَادُ/صَدَيْقُ القفلِ في شَفَتِي شهرزادُ/دُفِنَ السِنْدِبَادُ. /
كنتُ وَجَّهْتُ للبحرِ وجهه/فكيف انتهيتُ إلى بركة/تُطْفِئُ البحرَ في/أوتسليمُ أجنحتي للعبكُ؟/١
ها أنا أتقوسُ كالطاقِ/أفوقَ مدائنٍ مهجورةٍ/وليالٍ تشمُّ دمي/أوتكسرُ/أنتيبي، أوتهينني للرقادِ/
أني أنا السندبادُ/بعد أن ملأْتُ شاطني/كائناتُ الظلامِ/أثرى رقدتُ شهرزادُ/
أم رقدتُ/وأطالَ الرقادُ؟/أم رمى طائرُ الرُّخِّ/في بطنٍ وادٍ، شراعي/أوحلِّقُ/
روحِي في قفصٍ/أفضاني زَمادُ/أيُّها البحرُ. . . (الجبوري، ٢٠١٢م: ٢٢-٢٣).

فقد مرّج الشاعر ببراعة بين الشخصيتين الاسطوريين من ألف ليلة وليلة وهما شخصيّة السندباد التي ترتبط في الوعي الجمعي بالمغامرة وركوب الأخطار وشخصيّة شهرزاد؛ تلك الشخصيّة التي عرفت بحكمتها وقدرتها على مواجهة الشرِّ وإطرا انحراف الحضور على شخصيّة شهرزاد والسندباد من خلال نزع الملامح التراثيّة عن هاتين الشخصيتين حيث لا تتصافر الدلالة الأصليّة لهاتين الشخصيتين مع ملامح الحاضر السليبي فشهرزاد كانت في الف ليلة وليلة تلك الشخصيّة التي خلصت الفتيات من بطش شهريار بالوعي والحكمة واستطاعت بدرايةً وبأحاديثها الشائقة أن تزيل الخوف عن وجه الفتيات وتجعل شهريار انساناً وديعاً حكيماً يتعايش مع الناسلكنّها في القصيدة لم تكن تلك المخلصة التي تواجه الشرِّ والبطش ولم يعد لها أن تجعل السلطة الباطشة في رحاب الإنسانيّة ولم تقوم بدور المخلص والمنقذ بأحاديثها الشائقة وصديء القفل على شفيتها والشخصيّة الثانيّة هي شخصيّة السندباد وهو ذلك جواب الآفاق المغامر الذي يركب الأخطار ويقوم برحلات طويلة «استجابةً لنزعة فطريّة في نفسه إلى المغامرة وركوب الأخطار ومحاولة إثبات ذاته وإضفاء معنى على وجوده من خلال ارتياد المجهول والمغامرة» (هلال، ٢٠١٠م: ١٠١) وهي عند الدكتور حسين فوزي صورة رجل بعيد الهمة متوثب الروح، تواق إلى معرفة، واسع الحيلة والفكر لا يستسلم لمصيبة ولا يجثو لصورف الحدثن(السابق: ١٠٠) ووجه الانحراف في القصيدة يكمن في عزوف السندباد عن المغامرة والبحث عن المعرفة والحقيقة واستسلم للرقاد والنوم وروحه لم تكن تواقّة إلى المعرفة والكشف بل سيطر عليها الجمود والسكويّة وأرى أنّ شهرزاد في القصيدة رمز المثقف الذي متوقع منه أن يدخل في صراع دائم مع السلطة الباطشة لكنّه يتخلّى عن وظيفته وله ترهل الحضور في مواجهته للسلطة والسندباد بما يحمله من الملامح السليبيّة رمز للإنسان العربي المهزوم المنكسر الذي انكبّ إلى نفسه في تقوقع كامل وآثر الرضوخ على المواجهة والحضور.

النتائج

إنّ حركيّة الرمز تعدّ من الثيمات الأساسيّة للشعر العربي المعاصر حيث إنّ الرمز الواحد لا يستكين على المهادنة الدلاليّة بل يحمل دلالات مختلفة حسب السياقات التي يقع فيها وهي تدلّ على توهج مخيّل الشاعر الإبداعية ويعبر

عن قدرته على خلق السياق وانحراف الحضور يرتبط بالحضور العكسي للشخصيات أو الأحداث التراثية فيستحضر الشاعر المعاصر الطرف التراثي ويسقط عليه الملامح السلبية التي تتناقض تماماً ودلالاته الأصلية. فقد انبنى النظام الرمزي لشعر معد الجبوري على حركية الدلالة؛ فالرمز الواحد لا يحمل الدلالة الواحدة بل يحمل الدلالات المختلفة المتشظية. فقد وظف الشاعر مفردة النار وهذا الرمز الشعري امتشق المسارات الدلالية المختلفة وجاء رمزاً للخصب والنماء ورمزاً للانبعاث والعذاب ورمز العطش إلى المعرفة والحرية ووظفه الشاعر رمزاً للرفض والتمرد وهو بهذه الدلالة يحيلنا إلى تمرد الشيطان على إرادة الله والنار أصلته وفطرته ووظف الشاعر رمز الريح وهو يحمل دلالات الحرية أو ارهاصات الثورة والخلاص واستخدمه الشاعر رمزاً للسلطة لما يكمن بينهما من الاشتراك الدلالي.

إن انحراف الحضور جزء لا يستهان به في شعرية معد الجبوري. فقد استحضر الشاعر الشخصيات التراثية لكنه ينزع عنها دلالاتها الأصلية. فقد وظف الشاعر شخصية شهرزاد وهي في قصيدة معد الجبوري ليست المنقذة الواعية التي تواجه بطش السلطة وجبروته واستحضر شخصية السندباد لكنه عزف عن المغامرة وركوب الأخطار استجابة لدواعي المعرفة ووظف شخصية يوسف^(ع) من خلال حضور قميصه وقصة أصحاب الكهف ووجه الانحراف يكمن في عدم التصافر بين الدلالات الأصلية والدلالات الجديدة التي اسقط عليهما الشاعر في شعره ويتوخى الشاعر بهذه الاستبدالية أن يزيد من فاعلية الشعر وقدرته على تعرية الواقع المعيش وهذا هو سر انحراف الحضور في شعر معد الجبوري.

الهوامش

* إنَّ الرفض من أهم موضوعات الشعر العربي المعاصر وهو مقاومة الإرادة لدافع معين ورفضها التصديق بالأمر أو تأييده والانقياد له مما يوجب إنصاف صاحبه بقوة الإرادة لا يضعفها والرفض في جوهره مقاومة الانقياد (كريمة، ٢٠١٥م: ٣) وهو يتضمّن الصراع مع ما يحمّل الإنسان الانقياد والخضوع والرفض المرتبط بالشعر العربي يمثل جوهر الصراع مع السلطة سياسية كانت أو اجتماعية غير أنّ الشاعر المعاصر يلجأ إلى التوظيف الرمزي في شعره ويستثمر الرموز الدالة على معاني الرفض والتمرد والنار من الرموز التي استأثر باهتمام الشعراء العرب المعاصرين والتي تدلّ على الرفض والتمرد ووظيفة الدرس الدلالي هو تحديد الدلالة بالاعتناء إلى السياق اللغوي وفيما يرتبط بالنار في تمثيلها لمعاني الرفض والتمرد يدخل الدرس الدلالي نسيج السياق الشعري لدراسة رموز النار المتمثل في الرفض والتمرد.

المصادر

- القرآن الكريم
- أبو شهاب، واصف (١٩٩٨). القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، بيروت: دار النهضة
- اسماعيل، عز الدين، (١٩٨١). الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط ٣، بيروت : دار العودة
- بالحاج، كاملي، (٢٠٠٤). أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة: قراءة في المكونات والأصول، من منشورات اتحاد الكتاب العرب
- بكري، الياس، (٢٠١٦). توظيف الرمز في شعر خليل الحاوي، من متطلبات شهادة الماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

- جمال باروت، محمد (٢٠٠٩). **حركة الرمز في شعر محمود درويش**، ضمن كتاب بلقزيز: هكذا تكلم درويش، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية
- الجيوسي، سلمى خضراء (٢٠٠٧). **الاتجاهات والحركات في الشعر العربي المعاصر**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية
- عبدالزهرة الجنابي، سيروان، جبار عيدان، حيدر، (٢٠٠٨). **جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية؛ النص القرآني أنموذجاً**، العراق: مركز دراسات الكوفة
- شرتح، عصام (٢٠١٢). **الشعر والنقد والسيرة، مقارنة في تجربة بشرى البستاني الإبداعية**، عمان: دارفضاءات
- عثمان عباس، شريفة، (٢٠٠٩). **أدوات البناء الفني في شعر أمل دنقل**، من متطلبات الماجستير، جامعة خرطوم
- عشرى زايد، علي (٢٠٠٢). **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**. ط ٤. القاهرة: مكتبة ابن سينا
- العلاق، علي جعفر، (٢٠١٣). **الشعر والتلقي**، ط ١، عمان: دارفضاءات
- كريمة، شرفي، (٢٠١٥). **الرفض في شعر بشرى البستاني**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الجزائر: تلمسان
- مختار عمر، احمد، (١٩٩٨). **علم الدلالة**، ط ٥، القاهرة: عالم الكتب
- هلال، عبدالناصر، (٢٠١٠) **الشعر العربي المعاصر: انشطار الذات وفتنة الذاكرة**، بيروت، دار العلم والایمان.

نا ایستایی دلالت و انحراف در شعر معد الجبوری*

علی باقر طاهری نیا، استاد زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران
ابوالحسن امین مقدسی، دانشیار زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران
حسین الیاسی، دکترای زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران

چکیده

نا ایستایی دلالت از مهمترین ویژگی های شعر معاصر عربی است به طوری که یک رمز واحد حامل يك دلالت مأنوس نیست که گیرنده واقف به آن است بلکه با توجه به بافتی که در آن قرار می گیرد دلالت های مختلفی به خود می گیرد و این پویایی در دلالت و نایستایی رمز در شعر شعرای دهه شصت حضور پر رنگ تری دارد و به عنوان یکی از مهمترین موضوعات شعر عربی معاصر و به خصوص شعر معاصر عراق با مفهوم ابداع و آفرینش در ارتباط است و بیانگر استیلاي شاعر بر زبا شعر و مهارتش در بافت آفرینی است و منظور از انحراف در حضور نیز حضور گذشته تاریخی و اسطوری در شعر معاصر است که شاعر ویژگی ها و شاخصه های اصلی آن را سلب کرده و ویژگی ها و خصوصیت هایی جدیدی بر قامت آن می پوشاند. نایستایی رمز و انحراف در حضور از مهمترین ویژگی های شعر معد الجبوری است. این پژوهش با تکیه بر روش توصیفی و تحلیلی با یک دید نشانه شناسانه به دنبال واکاوی این ویژگی شعری شاعر است و برای این منظور دو رمز آتش و باد و همچنین اشارات تاریخی موجود در شعر شاعر را مورد کنکاش قرار داده است. نتایج نشان دهنده این است که رمز آتش در شعر شاعر دلالت های مختلفی به خود گرفته است که از مجموعه ین دلالت ها می توان دلالت رویش و حیات مجدد، باروری، ناپذیرایی، زادی و شناخت اشاره کرد و باد نیز با توجه به بافت های مختلف حامل دلالت های مختلفی است و همچنین شاعر با به کارگیری ناسازوارانه میراث و گذشته تاریخی و اسطوری به دنبال غناء بخشی دلالتی به حضور گذشته در متن شعری خویش است.

کلمات کلیدی: شعر معاصر عراق، معد الجبوری، دلالت، نایستایی، انحراف

* تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/۱۲/۱۰ تاریخ پذیرش نهائی: ۱۳۹۸/۰۴/۱۳

- نشانی پست الکترونیکی نویسنده (نویسنده مسئول): btaheriniya@ut.ac.ir

- شناسه دیجیتال (DOI): 10.30479/lm.2019.9191.2615